

الثلاثاء 08-02-2011

2957- يوميات الغضب والباطنة

ولادة شعب جديد قديم (9 من 9؟؟)

المكسب الحقيقي: رحيل مبارك؟

أم أن نعرف طريق الخلاص من "أنى" مبارك؟؟

مقدمة واعتذار:

حين هممت بكتابة نشرة الغد (الثلاثاء) عن احتمال اكتمال فروضى عن ما دخل إلى الرئيس مبارك إثر حادث المنصة ثم حادث الأمن المركزى توقفت عند انتباهى إلى إغفالى علاقة هذا وذاك بمحاولة اغتياله في أديس أبابا، ثم عدت اليوم لأراجع ما كتبت أمس (الأحد) ونشر اليوم (الإثنين) فلاحظت إصرارى على أن هذا الذى أكتبه لا يقع تحت لافتة ما يسمى علم النفس السياسى، ولا الطب النفسى السياسى، إذن ماذا؟ هل أنا أغالط نفسى أم أنى أكتب شيئاً آخر يحتاج إلى مصطلح آخر.

كلما سألتى صحفى أو مذيع أو أى إعلامى عن التفسير النفسى لهذا الحادث أو تلك الظاهرة أو تحليل هذا الشخص أو ذاك، نيهته ابتداءً إلى أن المنطق السليم هو أساس أى علم، وأن صفة "نفسى" التى تجذب الناس فيحاول الإعلام أن يفرضها على من يسأله من أمثالى، توحى بأن علم النفسى أو الطب النفسى قادر على تفسير كل حدث وكل ظاهرة، وأن هذا التوجه قد يؤدى فى النهاية إلى ما يسمى "نفسنة الحياة المعاصرة" بغير وجه حق.. إلخ، لكنهم يصرون، وكثيراً ما أعتذر.

ويشدد رفضى لهذه النفسنة حين نقرب من مجال السياسة وشخصيات الساسة، خاصة ما يصدر من ركن الهواة حين يستسهل إعلاميون أو بعض المثقفين وصف الشعب مثلاً بالفصام مجرد رصد تناقض لم يفهموه، أو وصف حزن الناس المشروع بالكتابة القومية... إلخ، موقفى هذا يمتد إلى رفضى الاستفادة من علوم رصينة مثل علم النفس السياسى أو الطب النفسى السياسى، [1] برغم احترامى الهائل لمن يشتغلون به، ويكتبون فيه، وخاصة الصديق الكريم "أ.د. قدرى حفى". وقد لا يدل هذا الرفض والتحفظ إلا على جهلى، لا أكثر ولا أقل، الأمر الذى أتمسك به ولا أريد التخلص منه، على الأقل حالاً.

إن لم يكن هذا الذى كتبتة والذى أكتبه الآن عن السيد الرئيس علم نفس سياسى، ولا طب نفس سياسى، ولا تحليل نفسى، فماذا هو ؟

لقد أشرت أمس إلى أننى لا أكتب إلا مجرد فروض اجتهادية، تحتمل الصواب والخطأ، وأظن أن هذا اعتذار شكلى، فما العلم إلى فروض عاملة طول الوقت تقريبا، وما تحقق منه فى نظريات يكاد لا يكون إلا بداية لفروض جديدة وهكذا.

إذن ماذا؟

خطر ببالي الآن ما اهدتيت إليه مؤخرا من صك مصطلح "قراءة النص البشرى" وهو المصطلح الذى حل عندى محل "لافتة التشخيص" بالنسبة للمرضى، ثم لحقه بسرعة مصطلح آخر استعملته طوال السنوات الثلاثة الماضية فى هذه النشرة، وهو "نقد النص البشرى" أصف به ما يجرى فى عملية العلاج من إعادة تشكيل كل من المريض والطبيب (إن صحت العلاقة وعمقت)، بما يخرج بهما إلى تشكيل جديد بديل، باعتبار أن النقد ما هو إلا إعادة تشكيل.

هل من الممكن أن أسمى ما أفعله الآن قى قراءة النص المسمى "الرئيس مبارك" نقدا مبدئيا على نفس المقياس؟

ربما، مع بعض التحفظات التى أفضلها غدا حين استكمل ما وعدت به أمس.

وأكتفى اليوم بأن أورد نص رسالة وصلتني على بريدى الخاص، وهى من صديق قديم جديد، د. زكى سالم تعرفت عليه من خلال صحبتنا معا لشيخنا نجيب محفوظ، وكتبت عنه ليس قليلا فى سلسلة نشرات "فى شرف صحبة نجيب محفوظ"، وتفضل بتصحيح ونقد بعض ما كتبت أولا بأول فى "بريد الجمعة" فى هذه النشرات،

عودة إلى النشرة عن "المنهج" و"النتيجة"!

كتب لى زكى رسالة هذا نصها:

د . يحيى

... كلماتك مهمة ولايد من مواصلة الكتابة، وأنا لا اختلف مع سيادتك سوى فى أمر واحد فقط، ولكنه فى غاية الأهمية، فلابد أن يرحل مبارك وسيرحل فعلا وقريبا جدا، وذلك حتى نعلم جميعا أن كلمة الشعب هى العليا، أما عبارة حرب أهلية فهى غير دقيقة، فنحن نعيش ثورة شعبية عظيمة كتب عنها أستاذنا كما كتبنا جميعا عنها، وما حدث ما هو إلا محاولة من نيرون أن يحرق مصر قبل أن يرحل، ولكنه سيرحل بالتأكيد، وستتحرق مصر وتحقق ما تخلم به جميعا، والله الفضل والشكر والحمد،

(التوقيع) : زكى

فأرسلت إليه ردى كما يلى (بعد حذف المقدمة):

عزيزى زكى

صباح الخير بإذن الله
شكرا يا زكى لمتابعتك

.....
.....
.....

اختلافى معك (معكم) حول مسألة توقيت رحيل مبارك اليوم وليس بعد بضعة شهور هو اختلاف **منهجى**، وليس **مبدئى**،

أنا أقدر مخاوف الذين يفضلون رحيله حالا خشية أن يلتف -مثلما فعل مزارا- حول وعوده في هذه الأشهر الباقية، لكن معنى هذا الخوف هو أنهم - أننا- لا نثق فيما اكتسبناه من هذه الثورة العظيمة من أدوات، هي الأهم من النتائج

لعلك تذكر يا زكى استشهادى بـ "لاكان" في مسألة "الدال" و"المدلول" ضاربا المثل بنقده لقصة "الرسالة المسروقة" لـ "إدجار ألان بو"، وقد حكيت رأيي في ذلك تفصيلا للأستاذ (نجيب محفوظ) في حضورك، سلامة المنهج يا زكى (خطوات العملية، أية عملية : التفكير أو الأداء ..إلخ) هو أهم من النتيجة الآتية، حين تعرف الطريق الصحيح ومسار خطواتك وكيفية التغلب على المصاعب: لابد أن تصل إلى هدفك، وبعد أن تكون قد تعلمت كيف الوصول إلى مثله وغيره باستمرار، حتى لو وصلت إلى المكان الخطأ مرة أو مرات، فإنك ستعيد مراجعة خطواتك فتصل إلى ما تريد ما دام منهجك قد اتضحت لك خطواته فاطمأنت إلى قدراته، أما أن تركز على "أنك حققت هدفا بذاته" لأنك أحسنت التصويب هذه المرة، فهذا لا يضمن لك أن بندقيتك فيها رصاصة تالية تحميم من الاحتمالات القادمة

الذى علينا أن نؤكد عليه الآن هو تدعيم ما تعلمناه من المكاسب المنهجية في التعامل مع من يعمل فينا مثل هذا، مبارك، وكل مبارك

المصيبة لم تبدأ بمبارك ولكنها بدأت بعبد الناصر ثم السادات الذى لم يختلف قط عن عبد الناصر في اتباع نفس المنهج، بل لعله شخصته، وما فعله مبارك بدا في البداية أقل اتقاناً في اتباعهما حذوك "القهر بالقهر"، ربما لقصور في إمكانياته، لكنه سرعان ما لبس (أو استجاب لهم حين ألبسوه) العقمة، وهتفوا كما علمنا شيخنا "اسم الله عليه!!" اسم الله عليه!! فصدق أنه الفتوة الذى لا يبارى، لا أريد يا زكى أن أذكرك بما كتبت له صراحة في خطابات مفتوحة متتالية بعد نجاته من محاولة الاغتيال في أديس أبابا أو بعد حادث الأقصر، أو بمناسبة ترشيحه في الولاية الرابعة [2]، ونبهته في كل ذلك إلى بعض ذلك (فأنا على يقين أنه لم يقرأه) إن رحيل مبارك الآن قد يبدو أنه النصر المبين، لكنه بالنسبة لى ليس كذلك، النصر هو أن نعرف كيف نخلع من بعده إذا صار مثله، أو فعل مثله، مبارك ربما يكون رمز الفساد أو رأس الفساد، لكنه ليس كل الفساد ولا أصل

الفساد، إنهم استعملوه للتمادى فى الفساد ففسد هو وربما سبقهم فى ذلك، ثم أحضرت زوجته بموافقتة ابنه وورطته فيما ليس له، أملا فى الحفاظ على نفس المنهج، لاستمرار كل شيء إلى ما صار إليه، وأعتقد أن هذه الغلطة من قبيل النظام كانت فى صالحنا نحن الشعب لأن هذا التلميذ المسكين، لم يحفظ الدرس، ولم يعرف لماذا أحضروه، فلم يصل إلى الناس، فعزى أباه ونظامه، شكر له، ومع السلامة، بعد أن يدفع حسابه، لست متأكدا.

إن التحفظ على بعض اللصوص الذين استعملوا الرئيس وابنه واستعملوا الدستور واستعملوا ثقب القانون واستعملوا الدين الخصوصي إنما يثير تساؤلات مهمة عن دور القضاء وتوقيت تدخله، وعن موقف آخرين حتى أولئك الذين قفزوا، أو طُردوا، من السفينة قبل أن تغرق مثل محمد سليمان وآخرين، هذا الإجراء الذى بدأ قانونيا ومكسبا للجمهور: أوصل لى سلبيات طغت على ما كان ينبغي أن أشعر به من فرحة أو حتى شماتة حين بلغنى اتخاذه، هو إجراء لم يعن شيئا كبيرا لى، وحتى تخلى (أو طرد) ابنه من رئاسة لجنة السياسات[3]، ومن العمل السياسى - وهو لم يدخله أبدا - كان رحمة به من هواية لم يجتئها، هل تذكر يا زكى مقالى "من ينتقد هذا الشاب من ورطته؟ وقد بدأت به عودتى لصحيفة الوفد منذ عام، لقد أنقذته ثورة الشباب هذه فعليه شكرها، لكنه يظل مسئولا لأن السيدة والدته لم تضع له "حاجة أصفرة" قبل أن تورطه فى لعبة السياسة التى لم يفكر فيها طول عمره (وحتى الآن غالبا)

أدعو معى الله ألا يسرق هذه الثورة العظيمة من هو ليس أهلا له، وخاصة الإخوان، مع علمى بتحيزك لهم، أنا خائف يا زكى منهم على إبداعك وإبداعي وإبداعنا، هم يكفرون النفرى والحلاج، هم ليسوا عصام العريان ولا فهمى هويدى، هم لا يعرفون من الغزالي إلا ما يقره المحاسبي، يعمل معروفاء، وسوف أرسل لك بعض ما كتبته للرئيس فى محاولة تفسير المادة الثانية من الدستور تفسيرا آخر غير ما شاع، ونشر ذلك فعلا، ولم يلتفت إليه أحد.

إحذر يا زكى من عائم الأزهر كما حذرنا الشيخ محمد عبده.

وأخيرا دعنا نتذكر الدروس والمكاسب الحقيقية التى حققتها هذه الثورة حتى الآن، لعلنا نستطيع أن نشكر شبابها عليها، بأن ندعمها بأية وسيلة طول الوقت، طول العمر وبعد العمر، وهاك بعضها:

• إن ثمة ديمقراطية أخرى غير ديمقراطية الإنابة، وغير الديمقراطية المستوردة المغشوشة، وهى مكملة (وليست بالضرورة بديلة) للديمقراطية الشائعة.

• إن حاجز الخوف مهما كان شمكه يمكن كسره، مهما طال الزمن، ونحن تعلمنا من هؤلاء الشباب الطريق إلى ذلك، وأدعو الله ألا ننساه، لا نحن، ولا هم.

- إنه لا توجد ثورة بدون شهداء، ولا مخاطرة
- إن الوسائل الإلكترونية التواصلية الحديثة هي لصالح الديمقراطية الحقيقية ولصالح الناس على المدى الطويل
- إن الإعلام السلطوى المركزى لم يعد قادرا على احتكار العقول
- إن القوة هي في الاستمرار، وليس في كسب معركة واحدة
- إن القوى الخارجية المالية والسلفية تلعب في أخطاها كما تلعب في سلوكنا كما تلعب في مصائرنا لصالحها، ولصالحها فقط، سواء تم ذلك من خلال حكامنا، أو من خلال غسيل المخ وتصدير المبادئ والنصائح القرداتية (نوم العازب)، فلزم الانتباه والحذر من الجميع، والتعاون على ذلك.
- إنه : "وإن عُدْتُمْ عُدْنَا"
- إنه : " ..وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"

أشكر مرة أخرى يا زكى وأرجو أن تواصل النقد والاختلاف لتصححني أولا بأول (مع أنني أعرف صعوبة ذلك، لكنني أحاول)، وأن تدعو معى أن يحفظ الله مصر، بدءا من اقتصادها وليس انتهاء بال حفاظ على إبداع أبنائها كلهم، فالعالم يحتاج إلى إبداع كل إنسان حريص على نوعه ألا ينقرض، لأنه لا يخفى عليك أن القوى المالية الانقراضية تعمل بعشى مطلق في هذا الاتجاه.

مصر، يا زكى، تستأهل، وتقدر،

وأنا احبها،

وشعبها رحيم جميل،

والله العظيم

شكرا

وعليك السلام

يحيى

- يذكرني البعض بما فعلت وأنا أقرأ شخصية عبد الناصر، وقد لامني كثير من أصدقائي وتلاميذي على ذلك، وقد دافعت عن موقفى، وحتى الآن وزعمت أيضا أن هذا ليس من منظور التحليل النفسى أو علم النفس السياسى، ثم إننى نشرت مقالا لاحقا بوضوح فى نفس الصحيفة (الوفد) التى انتقت للمقال الأول عناوين لم أجزها، أؤكد فيه أن عبد الناصر لم يكن مريضا نفسيا حتى أقوم بتقويم حالته بأجدية طب نفسية، وتمسكت بوجه خاص في قراءة شخصية محاولة تفسر علاقته بصديقه عبد الحكيم عامر.... الخ،

[2]- (بصراحة أنا أحجل من الإشارة إلى ما سبق أن كتبتة - أو أدعى الخجل- لكننى مضطر وقد أعود لتحديثه لمخاطبة الحكام الجدد قبل أن يغطسوا فى الغيبوبة التى تنتظرهم)

[3]- لم أفهم أبدا مضمون هذه الكلمة، وحين رشحتنى صحيفة الوفد للوزارة اخترت - تهكما - وزارة أسميتها "وزارة الوزارات"